المحاضرة السادسة : الفلسفة البراغماتية

مقياس الفلسفة الغربية المعاصرة

الفلسفة البراجماتية أو الذرائعية:

.البراجماتية تعد منهجًا في التفكير أكثر منها نظرية عامة

كلمة البراجماتية في أصلها اللغوي مشتقة من كلمة يونانية (pragma) تعني: العمل النافع، أو المزاولة المجدية، ويصبح المقصود منها هو "المذهب العملي"، أو "المذهب النفعي".

ومن الناحية الاصطلاحية فإن البراغماتية تعني المذهب الفلسفي الذي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية وكان مؤسسه ساندر شارل بيرس سنة 1878(Charles Sanders Peirce) ثم طوره اتباع وهما وليام حيمس وجون ديوي، ومن اهم ما تقوم عليه الفلسفة البراغماتية هو أن العقل لايبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إاى العمل الناجح، وبالتالي يكون معيار الفكرة الصحيحة هو مدى نجاحها عمليا وتجريبيا، فمعيار الصدق بهذا المعنى هو النجاح العملي[1]، يترتب عن هذا أن الأفكار والمعرفة ما هي إلا أدوات في خدمة الإنسان وتحقيق منافعه.

والفلسفة "البراجماتية" هي: فلسفة تصور العصر العلمي الذي نعيش فيه اليوم بصفة عامة، وتصور الحياة العملية التي يعيشها الأمريكيون في مدنيتهم الصناعية الحديثة بصفة خاصة.

:أسباب النشأة وأبرز فلاسفة المذهب البراغماتي -

نشأت (البراجماتية) كمذهب عملي في الولايات المتحدة الأمريكية مع بداية القرن العشرين: وقد وجدت في .النظام الرأسمالي الحر الذي يقوم على المنافسة الفردية خير تربة للنمو والازدهار

ومن أبرز رموز المذهب وأغلبهم من الأمريكيين

- تشارلس بيرس 1839 - 1914م، ويعد مبتكر كلمة البراجماتية في الفلسفة المعاصرة، عمل محاضرًا في جامعة هارفارد الأمريكية، وكان متأثرًا بدارون، ووصل إلى مثل آرائه، وكان أثره عميقًا في الفلاسفة الأمريكيين، واهم ما أسس الفلسفة البراغماتية القول بأن النتئج العملية هي التي تسمح لنا بأخذ فكرة عن الموضوع المرتبطة به.

- وليم جيمس 1842 - 1910م، وهو عالم نفساني، وفيلسوف أمريكي من أصل سويدي، بنى مذهب البراجماتية على أصول أفكار بيرس، ويؤكد أن العمل والمنفعة هما مقياس صحة الفكرة، ودليل صدقها.

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، باب البراغماتية، ص203.

أهم مؤلفاته:

- مبادئ علم النفس 1890م.
- موجز علم النفس 1892م،
- إرادة الاعتقاد 1897م،
- أنواع التجربة الدينية 1902م،
- البراجماتية 1907م،
- كون متكثر 1909م

يقول وليام جيمس حول معنى البراغماتية: «قد توضح لكم لمحة تاريخية موجزة عن هذه الفكرة ما الذي تعنيه البراغماتية. فالكلمة مشتقة من الأصل اليوناني وهو كلمة براغما (Pragma (وتعني "العمل والتي منها أيضاً كلمة يمارس عملاً وكلمة "Practical "عملي(. وكان السيد تشارلز بيرس Peirce Charles أول من أدخلها في الفلسفة عام»[2]. فالبراغماتي في نظر جيمس هو الإنسان البعيد عن التجريد وانعدام الكفاية العملية الحلول الكلامية، وعن مبادئ ثابتة ومحدودة، وأنظمة مغلقة[3].

ومن اهم أفكاره، دفاعه عن العقيدة الدينية معتبرا الدين والإيمان الخالص وسيلتان يؤسسان الأعمال الصالحة، فصلاح إيمان المرء مقترن بمدى تقديمه للمناقع للمجموعة البشرية التي ينتمي إليها، وكون الإنسان نافعا لمجتمعه يكون حتما نافعا للبشرية جمعاء، أما من الناحية النفسية فهو يرى أن الطمأنينة الحقيقية لا يجلبها الإنسان إلا من خلال عقيدته الدينية، وبهذا يصبح المعتقد الديني نافعا وصالحا ممن الناحيتسن العملية والنفسية.

كما عرف جيمس بدفاعه القوي عن الحرية التي هي شعار المجتمع الأمريكي، وإذا كان اعلم الطبيعي ومن خلاله بعض النظريات الفلسفية يقول بالحتمية، فإن الإنسان يتميز بالشعور ولا يمكن بالتالي إخضاعه إلى نفس القوانين التي تخضع لها الطبيعة، هذا الشعور الذي يشبهه بالنهر الدي لا يتوقف جرايانه يختلف عن صرامة العقل هو المؤسس الحقيقي للإبداع وبالتالي للحرية الإنسانية.

- جون ديوي 1856 – 1952م فيلسوف أمريكي، تأثر بالفلسفة البراجماتية، وكان له تأثير واسع في المجتمع الأمريكي، وغيره من المجتمعات الغربية؛ إذ كان يعتقد أن الفلسفة مهمة إنسانية قبل كل شيء، وعلينا أن نحكم عليها في ضوء تأثرها الاجتماعي أو الثقافي، كتب في فلسفة ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا)، وفلسفة العلوم والمنطق، وعلم النفس، وعلم الجمال والدين، وأهم مؤلفاته: دراسات في النظرية المنطقية 1903م، وكيف تفكر؟ 1910، والعقل الخالق 1917م، والطبيعة الإنسانية والسلوك 1922م، وطلب اليقين 1929م.
- الأفكار البراجماتية:

[2] وليام جيمس، البراغماتية، تر وليد شحادة، دار الفرقد، دمشق،2014، ص 49
[3] م.س.ن

من أهم أفكار البراجماتية ما يلي:

-أن أفكار الإنسان وآراءه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولاً، ثم السير نحو السمو والكمال ثانيًا.

-إذا تضاربت آراء الإنسان وأفكاره وتعارضت، كان أحقَّها وأصدقَها أنفعُها وأجداها، فالنفع هو الذي تنهض التجرِبة العملية دليلاً على فائدته.

-أن العقل خُلق أداة للحياة، ووسيلة لحفظها وكمالها، فليست مهمته تفسير عالم الغيب المجهول، بل يجب أن يتوجه للحياة العملية الواقعية.

-الاعتقاد الديني لا يخضع للبيئات العقلية: والتناول التجريبي الوحيد له هو آثاره في حياة الإنسان والمجتمع؛ إذ يؤدي إلى الكمال، بما فيه من تنظيم وحيوية.

-النشاط الإنساني له وجهتان: فهو عقل، وهو أداة، ونموه كعقل ينتج العلم، وحين يتحقق كإرادة يتجه نحو الدين؛ فالصلة بين العلم والدين ترد إلى الصلة بين العقل والإرادة

-العالم متغير باستمرار، ويعد الوصول إلى حقيقة الكون وكيفية وجوده أمرًا بعيد المنال.

-يُعد كل فرد جزءًا من المجتمع، وله دور معين فيه.

-تنظر إلى الحقيقة أنها غير مطلقة، وتضع ثقتها في قدرة الإنسان على المساهمة الفاعلة في بناء المجتمع وتطويره، وحل المشكلات التي تواجهه، أو التخفيف من حدتها على الأقل.

-لا تؤمن بوجود قوانين أخلاقية مطلقة، وما يصدر من أحكام يعتمد على نتيجة تطبيق هذا الشيء من ناحية، والنفع أو الفائدة من ناحية أخرى.

-ترى أن طبيعة الإنسان متكاملة؛ فعقله وجسمه ومشاعره ليست أجزاء منفصلة، بل هي خصائص لعضو متكامل، وأن كل فرد له طبيعته وشخصيته الخاصة به.

-أن الفكرة لا بد أن تكون قابلة للتنفيذ، وأن يكون لدينا اعتقاد بإمكانية تطبيقها فعلاً، وأن الفكرة أو القضية التي ليست لها نتائج عملية أو تأثير في السلوك هي قضية أو فكرة لا وجود لها.

-أن "المنهج البراجماتي" لا يهتم بمصدر الأفكار، ولا بكيفية ظهورها، وإنما يهتم بنتائجها العملية المؤثرة على السلوك والحياة.

-الفكر البراجماتي ينطلق من المستقبل متجاهلاً الماضي، وجاعلاً الحاضر لحظة إعداد؛ لتحقيق برنامج نصنعه للمستقبل، فهو يُحدِث قطيعة مع الماضي، ويرفض البحث في المبادئ الأولية، وفي كل أشكال المطلق.

-العقل عند البراجماتية أداة لفهم العالم وتغييره، والنظريات الفلسفية وسائل تقود لإنجاز الأهداف المحددة في المستقبل.

الخلاصة:

إن البراغماتية هي فلسفة ومنهج في آن معا، فهي فلسفة لأن لها من الأدبيات ما فرض تموقعها في مصاف المذاهب الفلسفية المعاصرة، وهي كمنهج لأنها تدعو بشكل مستمر إلى العمل وحتى على مستوى التفكير فهي تمنح الولوية للفكر القابل للتطبيق وتنبط الأفكار المستحيلة القائمى على مجرد التصور النظري أو التامل التجريدي.

ومهما قيل عنها فإنها تبقى مجهودا إنسانيا في بحثه عن ما من شأنه ان يحقق إنسانيته، وما يساعد القول أن البراغماتية مذهب فلسفي نشط هو اولا انتشاره عبر العالم واهتمام الدارسين بها، إضافة إلى هذا فغنها تغطي مجمل مباحث الفلسفة، إذ نجد فيها نظرية المعرفة واظلخلاق ونظرية الفن ومسألة علاقة الفلسفة بالعلم، ما يسمح بالقول بأنها فلسفة ثرية وشاملة.